السنة الحادية والثمانون وثلاث مئة

فيها في صفر تُوفِّي [القاضي] أبو محمد معروف [وسنذكره]، وقُبِضَ على الوزير أبي نصر سابور بالأهواز.

وفيها قَدم بهاءُ الدولة [إلى] بغداد في جمادى الأولى، وخرج إلى الطائع فتلقَّاه من الشَّفيعي، وكانت الفتنُ ثائرةً فسكنت.

وفيها هرب أبو النصر فولاذ بن ما ناذر من شيراز، وكان قد استفحل أمرُه، وزاد على حدِّ أصحاب الجيوش، وجعل اسمَه مقترناً باسم صَمْصَام الدولة في المناشير وغيرها، فكتب: «[من[1]] صَمْصام الدولة وصاحبِ جيشه نجم الدولة أبي نصر». وكان صَمْصام الدولة لا يُخالفه في شيء، وكان بينه وبين أبي القاسم بن العلاء الكاتب مودةٌ، ثم استحالت عداوةً، فعزم أبو نصر على قبضه، وقال لصمْصَام الدولة: لابُدَّ من القبض على أبي العلاء ونَكْبته. فأجابه إلى ذلك، ودخل أبو العلاء دار الإمارة، وجاء فولاذ، فقام إليه وسلَّم عليه، فأخذ بيده فولاذ وماشاه وحادَثَه، ثم وقف على باب بيتٍ، فدفع في صدر أبي العلاء حتى أدخله البيت، وأغلقَ بابه، ووكَّل به أقواماً، واشتغل فولاذ بالحديث مع الدَّيلم وفي أمورهم، وكان للبيت باب آخر قد سُمِّر، فعالجه حتى فتحه، ودخل على صَمْصام الدولة وقال له: قد قبضَ عليَّ هذا الرجل، وغرضُه أن لا يترُكَ بين يديك أحداً، فإذا فرغ من هذا قبض عليك، وغلب على الملك. قال: فما الرأي؟ قال: تقبضُ عليه الساعة إذا دخل عليك. قال: فأفْعَل. فأوقف بعضَ الحاشية في الدِّهليز، وأمرهم بقبضه. وكان عند صَمْصام الدولة نديمٌ يُقال له: الأرزُباني ـ يتجسَّس لفولاذ، فلمَّا دخل فولاذ من باب الدِّهليز أشار إليه أن لا يدخُلَ، فرجع وانصرف إلى داره، فخرج أبو العلاء إلى العسكر، وتهيَّأ للقبض على فولاذ، ورتب العسكر في الطرقات، وبلغَ فولاذُ، فأخذَ ما قَدَر عليه وهربَ إلى طائفةٍ من الأكراد، فأقام عندهم، واستولى أبو العلاء على الأمر، وبعث إلى الأكراد وخوَّفهم،

(١) ما بين حاصرتين زيادة من (ب)وحدها .

فنهبوه، وأفلتَ وحده ومضى إلى الريِّ، وأقام عند فخر الدولة، وتبيَّن لصَمْصام الدولة فِعْلُ الأرزُباني، فألقاه تحت أرجل الفِيلة فقتلته.

وفي يوم الاثنين السابع من شعبان جلس الطائع، ووصل إليه الوزير أبو القاسم وخواصُّ بهاء الدولة، وعرَّفوه ما تقرَّر من الصلح بين[1] صَمْصام الدولة، وسألوه الجلوسَ وحضورَ بهاء الدولة وأصحابَ صَمْصام الدولة ليُقَرَّ الاتفاق بين يديه، فأجابهما إلى ذلك.

وفي يوم السبت التاسع عشر من شعبان قُبِضَ على الطائعِ في دارِه ومن مجلسِه، وله أسباب: أحدها: أنَّ بهاء الدولة أراد أن يولِّي خليفةً من قِبَلِهِ وطوعِ يده، ولم يُظْهِر للطائع شيئاً من ذلك.

والثاني: أنَّ بهاء الدولة مات له ولدٌ، فما ذهب الطائع إليه ولا عزَّاه.

والثالث: مكاتبةُ مهذَّب الدولة ـ صاحب البطائح ـ إليه بسبب القادر، وكان بهاء الدولة قد صاهر المُهذَّب، ويقترض كلَّ وقتٍ منه المال.

والرابع: شَرَهُ بهاء الدولة إلى ما كان في يد الطائع من الأقطاع وما في داره من الجواهر والأموال.

قال هلال بن الصابئ: كان أبو الحسن المعلم قد كثَّر عند بهاء الدولة مالَ الطائع وذخائرَهُ، وأطمَعَه أن يملأ منه خزائنَه، فراسل بهاءُ الدولة الطائع في الجلوس، ليقرِّر ما جرى بينه وبين صَمْصام الدولة، فجلس وركب بهاءُ الدولة في الجيش، وجلس الطائعُ في مجلسه في صحن السلام على سريره وأبَّهة الخلافة وهو مُتقلّدٌ سيفاً، فلمَّا قَرُبَ بهاءُ الدولة قَبَّل الأرض ـ على عادته ـ وجلس على كرسيٍّ، وأُحضِر رسولُ صَمْصام الدولة، وقرأ أبو الحسن المعلم كتابَ الاتفاق، وقال: هاتوا دَواة أمير المؤمنين. فقُرِّبت الدواةُ، واستمدَّ أبو الحسن وناولَ القلمَ للطائع، فتقدَّم أبو شجاع بِكِرانٍ[2] ـ وقيل: تقدم اثنان من الديلم ـ فجذب الطائعَ من السرير بحمائل سيفه، فصاح به الطائعُ صياحَ مُنكرٍ لفعله، وتكاثرَ عليه الدَّيلمُ، فلفُّوه في كساءٍ، وحملوه إلى بعض الزَّبازِب[3]، وأصعدوا به إلى خزانةٍ في دار

(١) هكذا في (خ) ـ وهي النسخة الوحيدة لذكر الخبر ـ والأولى أن تكون: «مع».

(٢) الكِران: العود، أوالصنج. الصحاح(كرن).

(٣) الزَّبازِب السفن الصغيرة . وقد تقدمت مراراً .

المملكة، واختلط الناس، وظنَّ مُعْظَمُهم أنَّ القبض على بهاء الدولة، فقُدِّم إليه في الوقت دابةٌ ليركبها، فلمَّا رآه الأولياءُ سكتوا، ووقع النَّهبُ، فأُخِذَتْ ثيابُ مَنْ حضرَ من القُضاة والأشراف والشهود والعلماء والكتَّاب، وقُبِضَ على أبي الحسن علي بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان، واحتيط على الحجر وعلى الخزائن والخدم والحواشي، وحُرِسَتْ زوجةُ الطائع من النَّهب، وانصرفَ بهاءُ الدولة إلى داره، وأُظْهِرَ أمرُ أبي العباس أحمد القادر، وكُتِبَ عن الطائع كتابٌ بِخَلْعِ نفسِه وتسليمِه الأمرَ إلى القادر، وشهد عليه فيه الشريفُ أبو أحمد الحسين ابن موسى الموسوي، وأبو محمد بن عمر بن يحيى العلوي، وأبو القاسم بن أبي تمام الزينبي، وأبو الحسن[1] ابن معروف القاضي، وآخرون، فكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر. وقيل: وثمانية أشهر وخمسة أيام، وأمه أم ولد، يقال لها: عتب[2]، وكان نقش خاتمه الذي في يده: الطائع لله، ونقش الخاتم الذي يختم به الكتب: محمدٌ رسول الله.

وبعثَ بهاءُ الدولة بكتاب الخَلْعِ إلى القادر وهو بالبَطيحة، بمكانٍ يُقال له: الصَّليق، وحثَّه على المبادرة إلى بغداد، وبعث مع الكتاب بأُذن الطائع جَدَعَها ـ وقيل: بأنفه أيضاً، وقيل: الذي جَدَعَ أنفَه القادرُ جَدعاً يسيراً رأسَ الأرنبة ـ وأُقيمت الخطبة في رمضان للقادر، وحُوِّل جميعُ ما كان في دار الخليفة؛ من المال والثياب والأواني والصِّياغات والفُرُش والآلات والعُدَد والسلاح والجواهر والخدم والدوابِّ والبغال وجميع ما فيها، حتى الرصاص والرخام والسياج، ووجدوا في الخزائن رؤوس جماعة من الخوارج في أسفاط[3]، فرُمِيَتْ في دِجْلَة، إلا رأس علي بن محمد صاحب الزَّنْج، فإنَّ الرضيَّ أبا الحسن أخذه وحمله إلى داره. فطاف بهاء الدولة الدار مجلساً مجلساً، فانتخب[4] الخاصة والعامة، فدخلوها وشعَّثوا[5] بنيتها، وقلعوا بعض أبوابها وشبابيكها، وفعلوا بها كلَّ قبيح.

---

(١) في (خ) الحسين. والمثبت من (ب) هو الصواب .

(٢) هكذا وقع اسمها في تاريخ بغداد ١١/ ٧٩، والكامل ٩/ ٨٠.

(٣) الأسفاط جمع سفط: وهو الذي يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء .اللسان(سفط).

(٤) في (خ): فانتهب، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٤/ ٣٤٩ ، والخبر فيه بمعناه.

(٥) شعَّثوا: فرَّقوا. المعجم الوسيط (شعث).

وأمَّا مُهذِّب الدولة أبو الحسن علي بن نصر صاحب البَطِيحة فإنه جهَّزَ القادرَ جَهازَ مِثْلِه، وحمل إليه من المال والثياب والفُرُش والآلات شيئاً كثيراً، وأعطاه طياراً كان بناه لنفسه، وشيَّعه وعاد، وقال أبو القاسم هبة الله بن عيسى كاتب مُهذِّب الدولة: لمَّا ورد القادر إلى عندنا إلى البَطِيحة كنتُ أغشاه في بعض الأوقات، يُدنيني منه، ويُباسطني، وكنتُ أجتهد في تقبيل يده فلا يُمكِّنني، فلمَّا كان في بعض الأيام دخلتُ عليه فوجدتُه باهتاً ساهياً، ولم أرَ منه من الإكرام ما أعهَدُه، ورُمْتُ تقبيلَ يده فمدَّها إليَّ فقبَّلتُها، وشاهدتُ من أمره خلافَ ما كنتُ أعهَدُ، فقلت: أتوذِنُ في الكلام؟ قال: قل. قلت: أرى اليوم فيك من الانقباض عني ما قد أوحشني، فإن كان ذلك لِزَلَّةٍ مني فمن حُكْمِ التفضُّلِ إشعاري بما بدا مني، لأطلب للعذر مخرجاً. فقال: ليس الأمر على ما ظننتَ، ولكن اسمَعْ، رأيتُ البارحةَ في منامي كأنَّ هذا ـ وأومأ إلى نهر الصَّليق ـ قد اتَّسع حتى صار مثل عرض دِجْلةَ دفعاتٍ، وأنا مُتعجِّبٌ، فمشيتُ على جانبه متأمِّلاً أمرَه ومُطْرِقاً [1] لعِظَمِه، وإذا بقواعد قنطرة عظيمة، فقلت في نفسي: تُرى مَن قد حدَّث نفسَه بعمل قنطرةٍ على مثل هذا البحر الكبير، وصعِدْتُ عليها، وإذا بها وثيقةٌ محكمة، ومددتُ عيني، وإذا بإزائه مثله، فبينا أنا واقف وإذا بشخص من ذلك الجانب، فناداني: يا أحمد، تريد أن تعبر؟ قلت: نعم، فمدَّ يده حتى وصلت إليَّ، وأخذني فعبرني، فهالني، فقلت له: بالله من أنت ؟ قال: علي بن أبي طالب، وهذا الأمر صائرٌ إليك، ويطولُ عمرك فيه، فأحسِنْ إلى ولدي وشيعتي. قال: فما انتهى القادرُ إلى هذا المكان حتى سمِعْنا صياحَ ملَّاحين[2] وضجيجَ ناس، فقلت: ما هذا؟ وإذا برسل بهاء الدولة، وفيهم أبو علي الحسن بن محمد بن نصر، وقد وردوا ليأخذوه إلى دار الخلافة، وإذا معهم قطعةٌ من أُذن الطائع، فقبَّلْتُ يدَه ورجلَه، وخاطبتُه بإمرة المؤمنين، وبايعتُه، وكان من إصعاده وإصعادي معه ما كان. وكتب القادر إلى بهاء الدولة بعد البسملة: من عبدالله أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى بهاء الدولة

---

(١) في المنتظم: ومستظرفاً.

(٢) المثبت من (ب)، وهو الموافق لما في الكامل ٩/ ٨١ ، ووقع في (خ): ملَّاكين، وفي المنتظم ١٤/ ٣٥٠ : الفلاحين، وما أثبتُّه هو الأولى بسياق الكلام، والملَّاح: هو السفَّان الذي يوجِّه السفينة. المعجم الوسيط (ملح).

وضياء المِلَّة، أبي نصر بن عضد الدولة وتاجِ المِلَّة مولى أمير المؤمنين، سلامٌ عليك، فإنَّ أمير المؤمنين يحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يُصلِّي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً، أما بعد: أطال الله بقاءَكَ، وأدام عزَّتَك وتأييدَكَ، وأَحْسَن إمتاع أمير المؤمنين بك وعندكَ، فإنَّ كتابَكَ وردَ باجتماع المسلمين قبلكَ، والخاصِّ والعامِّ على خَلْعِ العاصي ـ الملقَّب بالطائع ـ عن الإمامة، ونَزْعِه من منصب الخلافة؛ لبوائقه المستمرة، وسوءِ نِيَّتِهِ المدخولة، وإشهادِهِ على نفسه بنكولِهِ وعجزِه، وإبرائه الكافَّة من بيعتِه، وخروجهم من عقدِه وذمَّتِه، وأنَّ الجماعة بايعوا أمير المؤمنين باتفاقٍ منهم وانشراحٍ من صدورهم، وقمتَ في ذلك بغضبكَ للهِ ولأميرِ المؤمنين، حتى ناديتَ بشعارِه في الآفاق، وأقمتَ له الدعوة في الأقطار، ورفعتَ من الحقِّ ما كان العاصي خَفَضَه، وأقمتَ من عماد الدين ما كان المخلوعُ رفَضَه، ووقف أميرُ المؤمنين على ذلك كلِّه، وأحاط علماً بجميعِه، ووجدك ـ أدام اللهُ تأييدَك ـ قد انفردتَ بهذه المأثُرة، واستحققتَ بها من الله جليلَ الأثَرة، ومن أمير المؤمنين أسنى المنازل، وأعلى المرتبة، وكانت هذه المنزلة عليك موقوفة، كما كانتِ الظنونُ إليك مصروفة، حتى فُزْتَ بما يبقى لك في الدنيا ذِكرُه وفخرُه، وفي الآخرة ثوابُه وأجرُه، فأحسنَ الله عن هذه الأفعال مكافأتَكَ، وأجزَل عاجلاً مجازاتَكَ، وشَمِلَكَ من توفيقه وتسديده ومعونته وتأييده بما يُديم نصر أمير المؤمنين، وظفره على يدك، وجعلك أبداً مخصوصاً بفضل السابقة في ولائِه، ومتوحداً بتقديم القِدَم في أصفيائِه، فقد أصبحتَ سيفَ أمير المؤمنين المُبيرِ لأعدائِه، والحاظي دون غيرِكَ بجميل رأيه، والمُستبدَّ بحمايةِ حَوْزتِه، ورعاية رعيَّتِه، والسفارة بينه وبين ودائع الله عنده من بريَّتِهِ، وقد برزَتْ رايةُ أمير المؤمنين عن الصَّليق متوَجِّهةً نحو سريره الذي حرسْتَه، ومستقَرِّ عِزِّه الذي شيَّدْتَه، ودار مملكتِه التي أنتَ عِمادُها، ورَحى دولتِه التي أنتَ قطبُها..... وذكر كلاماً هذا معناه(١).

ووصل القادر إلى دار الخلافة يوم الأحد ثاني عشر رمضان، وتلقَّاه بهاء الدولة ووجوه الأولياء، وأنشد المدائح، فمنها: [من الكامل]

(١) هذا الكتاب في المنتظم ١٤/ ٣٥٠-٣٥٢.

شرفُ الخلافةِ يا بني العباسِ اليومَ جدَّده أبو العباسِ
ذا الطَّودِ بقَّاهُ الزمانُ ذخيرةً من ذلكَ الجبلِ العظيمِ الرَّاسي

من أبيات، وهي لأبي الحسن محمد بن أبي أحمد[1].

وبعث إليه بهاءُ الدولة ببعض الفُرش والآلات التي أخذها من دار الخلافة، وكان مُقامُه بالبَطيحة منذُ حصَلَ بها إلى اليوم الذي خرج منها سنتين وأحد عشر شهراً، ولمَّا دخل دارَ الخلافة وجدها خاويةً على عروشها خراباً،فساءه ذلك، ولم يبقَ بها سقفٌ يأوي إليه.

الباب الخامس والعشرون في خلافة القادر بالله

[وفيها كانت خلافة القادر بالله، واسمه] أحمد بن إسحاق بن المُقتَدِر، ويكنى أبا العباس، وهو ابن عمِّ الطائع، وأمُّه أم ولد يقال لها: تُمنى ـ وقيل: قطر الندى، وقيل: غزال ـ مولاة عبد الواحد بن المقتدر، وكانت من أهل الخير والصدقات، ومولده يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول، سنة ست وثلاثين [وثلاث مئة]، وكانت بيعتُه بالخلافة في رمضان [من] هذه السنة [على ما جرت العادة] وحلف له بهاء الدولة، وكان القادر بالله أبيضَ، حسنَ الوجه، كثَّ اللحية، قد وخَطَه[2] الشيب، وكان يخضِبُ، وسُلِّم إليه الطائع فحبسه، فعاش محبوساً إلى سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة. وقيل: إنما سُلِّم إليه في سنة اثنتين وثمانين [وثلاث مئة]، وسنذكره إن شاء الله.

واستكتَب له بهاءُ الدولة أبا الفضل محمد بن أحمد عارض الدَّيلم، وجَعَل أستاذَ الدار عبدَ الواحد بن الحسين الشيرازي، وخُطب للقادر وبهاء الدولة على المنابر، وأضاف[3] إلى ألقابه: غياث[4] الأمة، ونقل بهاء الدولة أختَه زوجةَ الطائع إلى دار بمَشْرَعة الصخر، وأقام لها بما تحتاج إليه، وأقطعها إقطاعاً إلى أن توفِّيت.

---

(١) هو الشريف الرضي، والأبيات في ديوانه ١/ ٥٤٦-٥٤٨ . وينظر هذا الكلام وما بعده في المنتظم ١٤/ ٣٥٣ فما بعدها.

(٢) المثبت من (م) و(م١)، وجاء بدلاً منه في (خ) و(ب) : .

(٣) وخَطَه الشيب: فشا فيه. المعجم الوسيط (وخَطَ).

(٤) يعني القادر إلى ألقاب بهاء الدولة .

(٥) في (خ) و(ب) أصناف، والمثبت من(م)و(م١).

وصودر أبو الحسن [علي بن عبد العزيز] ابن حاجب النعمان وجماعة من أصحاب الطائع على مال.

[ذِكْرُ ما يتعلَّق بحوادث الشام ذكره هلال بن الصابئ وغيره]:

وفيها قُتِل بَكْجُور [التركي]، ومات سعد الدولة بن سيف الدولة بحلب، وجهَّز العزيزُ العساكرَ إلى الشام، وكان سعد الدولة لمَّا مات قد استأمَنَ إلى العزيز جماعةٌ من أصحابه، منهم: وفيٌّ الصَّقلَبي في ثلاث مئة غلام، وبشارة الإخشيذي في أربع مئة غلام، ورباح السَّيفي، وآخرون، فقبلهم العزيزُ وأحسن إليهم، وولَّى بشارةَ طبرية، ووفياً عكا، ورباحاً غزَّةَ، وكان بَكْجُور لمَّا قُتِلَ هرب كاتبُه علي بن الحسين المغربي إلى مشهد الكوفة على البريَّة، وتوصَّل حتى وصل إلى مصر، واجتمع بالعزيز، وعظَّم أمرَ حلب عنده وكثَّرَها، وهَوَّنَ عليه حصونَها، فتشوَّفَت نفسُه إلى ذلك، وكان له غلامان - أحدهما يسمَّى منجوتكين والآخر بازتكين - أمردان مُشتدَّان، فأشار عليه المغربي بإنفاذ أحدهما لينقاد له غلمان سعد الدولة، فأنفذ مَنجوتكين وقدَّمه على العساكر، وموَّله وخوَّله، وولَّاه الشام، واستكتَب له أحمد بن محمد النُّشوري، وضمَّ إليه أبا الحسن المغربي، ليقوم بالأمر والتدبير، وشيَّعه العزيزُ بنفسه، ووصل إلى دمشق، وتلقَّاه أهلُها والقُوَّادُ، وعساكرُ الشام والقبائلُ، فأقام بها مدةً، ورحل طالباً لحلب في ثلاثين ألفاً من أصناف الرجال، وكان بها أبو الفضائل ابن سعد الدولة ولؤلؤ، فأغلقا أبوابَها، واستظهرا غايةَ الاستظهار، وكان لؤلؤٌ لمَّا قَدِم عسكرُ مصر إلى الشام كاتب بسيل عظيم الروم، ومتَّ[1] إليه بما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة، وأهدى له هدايا كثيرةً وألطافاً، وسأله المعونة[2] والنُّصرة، وأنفذَ بالكتاب والهدايا مع ملكونا السرياني، فوجد ملكَ الروم يقاتل ملكَ البُلغَر[3]، فقَبِل الهدية،

(١) في (خ): بتَّ، والمثبت من(ب).

(٢) في(خ): المغفرة، والمثبت من(ب).

(٣) في (خ): البرغل، والمثبت من(ب).

وكتب إلى البرجيِّ نائبه بأنطاكية أن يسير بالعساكر إلى حلب، [ويدفع المغاربة، فسار البرجيُّ في خمسين ألفاً، ونزل جسر الحديد بين أنطاكية وحلب][1]، فاستشار مَنْجوتكين المغربيَّ والقُوَّادَ في ذلك، فأشاروا بالانصرافِ عن حلب، وقصْدِ الروم والابتداءِ بهم؛ لئلَّا يحصلوا بين عَدُوَّين، فساروا حتى نزلوا تحت حصن أعزاز، وقاربوا الروم، وبينهم النهر المعروف بالمقلوب، فلمَّا بصُر المسلمون بالروم رمَوهم بالنُّشَّاب، وبينهم النهر، ولم يكن لأحد الفريقين سبيلٌ إلى العبور؛ لكثرة الماء [وكان مَنْجوتكين قد حفظ المواضع التي يَقلُّ الماء] فيها، وأقام جماعةً يمنعون أصحابه من العبور إلى وقت يختاره المُنجِّم، فخرج من الدَّيلم الذين كانوا في صحبة مَنْجوتكين شيخٌ كبير، بيده تُرس وثلاث زُوبينات[2]، فوقف على جانب النهر، وبإزائه قومٌ من الروم، فرمَوه بالنُّشَّاب وهو يسْبَح، حتى قطَعَ النهَر وصارَ على الأرض من ذلك الجانب، والماءُ في النهر إلى صدره، فرمى المسلمون بأنفسهم في الماء فرساناً ورجَّالةً، ومَنْجوتكين يمنعهم ولا يمتنعون، فصاروا مع الروم في أرضٍ واحدة، وأنزل الله نصره، فولَّى الروم، وأعطوا ظهورهم، وركبهم المسلمون فأثخنوهم قتلاً وأسراً، وأفلت البرجيُّ في عددٍ يسيرٍ إلى أنطاكية، وغَنِم المسلمون عساكرَهم وأموالَهم شيئاً لا يُعَدُّ ولا يُحصى، وكان معهم ألفان من عسكر حلب، فقتل مَنْجوتكين منهم ثلاث مئة، وتبع مَنْجوتكين الرومَ إلى أنطاكية، فأحرق ضياعها، ونهب رساتيقها[3]، وكرَّ راجعاً إلى حلب، وبعث إلى مصر بعشرة آلاف رأس من رؤوس القتلى، وأقام على حلب، وكان وقت الغلَّات، وعلم لؤلؤٌ أنه لم يبق له ناصرٌ، وقد أظلَّته عساكر مصر، وقد أشرف على التلف، فكاتب المغربي وابن النشوري وأرغبهما في المال، وبذل لهما ما وسع عليهما فيه، وسألهما أن يُشيرا على منجوتكين بالانصراف عن حلب إلى دمشق،

(١) مابين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي زيادة من(ب).

(٢) جمع زُوبين: وهو الرمح القصير، وقد تقدم.

(٣) الرساتيق، جمع رستاق: وهي القرية. المعجم الذهبي ص٢٩٦.

وأن يعود في العام المقبل، فخاطباه في ذلك، وصادف قولُهما شوقَه إلى دمشق ومنتزهاتها، وكان قد أضرسَتْه[١] الحرب، فكتب هو والجماعة إلى العزيز يقولون: قد تعذَّرت المِيرةُ ولا طاقة للعساكر على المقام، ويستأذنونه في الرجوع إلى دمشق، فقَبْلَ أن يجيء جوابه رحلوا إلى دمشق، وعرف العزيز ذلك، فشقَّ[٢] عليه رحيلُهم، ووجد أعداءُ المغربيِّ طريقاً إلى الطعن عليه، فصرفه[٣]، وقلَّدَ الأمرَ صالح بن علي الرُّوذْباري، وأنفذه عِوَضَه، وحمل العزيز من غلَّات مصر ما أمكن في البحر إلى طرابلس، وحملت إلى فامية[٤]، ورجع مَنجوتكين إلى حلب في السنة الآتية، وبَنَوا الدُّورَ والحمامات والخاناتِ والأسواقَ، فاشتدَّ الحصار على لؤلؤ وأبي الفضائل، وعَدِموا الأقواتَ، فكاتبوا ملك الروم، وقالوا: متى أُخِذَتْ حلب أُخِذَتْ أنطاكية، ومتى أُخِذَتْ أنطاكية أُخِذَتْ قُسْطَنطينة، فلمَّا سمع هذا ملكُ الروم سارَ بنفسه في مئة ألف، وتبعه من كلِّ بلدٍ عسكرُه، ولمَّا قَرُبَ من البلاد أرسل لؤلؤٌ إلى مَنْجوتكين يقول: إن عصمة الإسلام الجامعة بيني وبينك تدعوني إلى إنذارِكم والنُّصحِ لكم، وقد وافاكم بَسيل[٥] بجنوده، فخُذوا لأنفسكم. وجاءت جواسيس مَنْجوتكين فأخبروه بمثل ذلك، فأحرق الخزائن والأسواق، وولَّى منهزماً، وأشار عليه بأن يبعث الأثقال إلى دمشق، ويُقيم على مرج قِنَّسْرين[٦]، فلم يلتفت، وسار إلى دمشق، ووصل بسيل إلى حلب، وشاهد موضع عسكر المغاربة، فهالَه ذلك، وعَظُموا في عينيه. وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤٌ وخدماه، وسار في اليوم الثالث، فنزل على حصن شيزر[٧]، وفيه منصور بن

(١) يقال: حرب ضروس، أي شديدة مهلكة. المعجم الوسيط(ضرس)

(٢) في (خ) و(ب): فدق، وهو تحريف ظاهر، والتصويب من النجوم الزاهرة ٤/ ١٢٠ .

(٣) يعني أن العزيز صرف المغربي .

(٤) ويقال لها: أفامية: وهي مدينة أثرية تبعد عن حماة ٦٠كم في اتجاه الشمال الغربي والمعجم الجغرافي ١/ ١١٨ .

(٥) هو اسم ملك الروم .

(٦) قِنَّسْرين: مدينة ملاصقة لحمص، وقد كانت هي وحمص شيئاً واحداً. معجم البلدان ٤/ ٤٠٣ .

(٧) شَيْزَر: قلعة بالقرب من معرة النعمان تبعد عن حماة مسيرة يوم. معجم البلدان ٣/ ٣٨٣.

كراديس أحد قُوَّاد المغاربة، فقاتله يوماً واحداً، ثم طلب منه الأمان، فأمَّنه، فخرج بنفسه وأهَّلَ[١] به، وأعطاه بَسيلُ مالاً وثياباً، ووفَّى له وسلَّمه إليه، فَرَتَّب فيه أحدَ ثقاته، ونازَلَ حمص ففتحها، وسبى منها ومِنْ رقبتها وأعمالها أكثرَ من عشرة آلاف نسمة، ثم نزل على طرابلس أربعين يوماً يقاتلها فلم يقدر على فتحها، فرحل عائداً إلى الروم، وانتهت أخباره إلى العزيز، فنودي في الناس بالنَّفير وفتح الخزائن، وسار في جيوشه ومعه توابيت آبائه، فنزل إلى الشام على بانياس، فأخذه القُولنْجُ فمات في الحمام، وولي ابنُه الحاكم مكانَه، وذلك في سنة ست وثمانين وثلاث مئة ورجع الحاكم إلى قصره، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفي رمضان وردَت كتُبُ أهل الرَّحبة والرقَّة إلى بغداد باستدعاء من يسلِّمونها إليه، فندب لذلك خُمارتَكين الحفصي، فخرج في شوال ومعه خمس مئة رجل من الدَّيلم والتُّرك وجماعةٌ من العرب، وكان ابنُ وِشاح في الرَّحبة، فدخلها خُمارتكين وملكها، ثم سار إلى الرقة، وبها بدر السعدي، فاعتصم بالرافعة، وقاتل خُمارتَكين دفعاتٍ ودفعه عنها، فعاد إلى الرَّحبة على الظَّهر، وبعث بأثقاله في السفن، فاعترضه قومٌ من العرب بين الدالية وعانة[٢]، فأسروه وأخذوا جميع ما كان معه على الظَّهر، وسلَّم ما كان في السفن، فابتاع منهم نفسَه بألف دينار، ودخل بغداد في ذي الحجَّة.

وفيها بعثَ بهاءُ الدولة أبا جعفر الحجاج بن هُرْمُز إلى الموصل فدخلها، واجتمعت عليه بنو عُقيل وزعيمُهم أبو الذَّوَّاد محمد بن المسيِّب، وقاتلوه بظاهر البلد، وجرت بينه وبينهم وقائع، وكان يطرح كُرسيَّه وسط المصاف ويجلس عليه والحرب قائمة، وظهرت منه شجاعة عظيمة، وتوفي أبو الذَّوَّاد سنة خمس وثمانين، وعاد بنو عُقيل واجتمعوا عليه وأخرجوه من الموصل.

---

(١) في (خ) و(ب): وأهله، وهو خطأ، والتصويب من النجوم الزاهرة ٤/ ١٢١.
(٢) الدَّالية وعانة: مدينتان من مدن الفرات. معجم البلدان ٢/ ٤٣٣، ٤/ ٧٢.

وولي إمارة الحاجِّ أبو الحسين بن يحيى العلوي وقيل: اسمه محمد بن الحسن بن يحيى وكنيته أبو الحسن.

ذكر خبر أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي

كان أميرَ مكة، وكان حسان بن المفرِّج بن الجرَّاح الطائي مقيماً بالرَّملة، وعنده أبو القاسم بن المغربي، وكان مبايناً[1] لصاحب مصر، فحمله على أن عظَّمَ أبا الفتوح في عين حسَّان، وقال: هذا لا مطعَنَ في نسبه، والمصلحة أن تنصِّبَه إماماً. فوافقه، وقدِمَ ابنُ المغربي مكةَ، فأطمع أبا الفتوح في الملك، وسهَّلَ عليه الأمر، فأصغى إليه، وبايعه شيوخُ الحسين، وحسَّن له ابنُ المغربي قَلْعَ قبلة البيت وأَخْذَ ما فيه من الأموال، فأخذه وأنفقه في الجند، وسار به ابنُ المغربي إلى الشام، فنزل الرملة، والتقاه حسان والقبائل، فقبَّلوا الأرض بين يديه، وخاطبوه بأمير المؤمنين وهو راكب على فرس متقلِّداً سيفاً زعم أنه ذوالفقار، وفي يده قضيبٌ زعم أنه قضيبُ رسول الله ﷺ، وحولَه جماعةٌ من بني عمه، وبين يديه ألفُ عبدٍ من السودان، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وكان قد خطب لنفسه في مكة، وتسمَّى بالراشد بالله، وبلغَ الحاكمَ بالله [هذا][2]، فانزعج وكتب إلى حسانٍ فلاطفه، وبذل له مالاً [وهدايا] وجاريةً لم يكن بالشام مثلُها، وجهَّزها بمال عظيم، وبعث بالأموال إلى [آل] الجرَّاح، فرجعوا عن أبي الفتوح، وكتب الحاكم إلى مكة إلى بني عم أبي الفتوح بولاية الحرمين، وبعث إليهم بمالٍ، ولمَّا عَلِمَ أبو الفتوح سقطَ في يده، وركب إلى المفرِّج أبي حسان مستجيراً به، وقال: إنما فارقتُ نعمتي، وأبديتُ لصاحب مصر صفحتي سكوناً[3] إلى ذمامكم، وأنا الآن خائفٌ من غدر حسان، فأبلغني مأمني، وسيِّرني إلى وطني. فردَّه إلى مكة، فوجد صاحبَ مصر قد ولَّى الحرمين الحسين ابن عمِّه، فأقام بجدَّة.

---

(١) مبايناً: مغايراً ومخالفاً. المعجم الوسيط (بين).
(٢) ما بين حاصرتين زيادة من (ب) .
(٣) في(خ): شكوتم، والمثبت من(ب).

وفيها تُوفِّي

أحمد بن الحسين(١)

ابن مِهْران، أبو بكر، المقرئ [من قرَّاء خراسان، و] سكن نيسابور، وسافر إلى الأمصار [وقرأ القرآن على أبي الحسن بن الأخرم بدمشق، وقرأ بخراسان على أبي بكر النقَّاش]، وسمع الحديث ورواه، [وصنف الكتب في القراءات]، وكان مستجاب الدعوة، وتوفي بنيسابور وله ست وثمانون سنة [حدَّث عن أبي بكر بن خُزيمة وغيره، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله، وذكره في «تاريخه» وأثنى عليه. قال: وفي ذلك اليوم] مات أبو الحسن العامري رئيس الفلاسفة.رأى بعضُ الثقات ابنَ مِهْران في الليلة التي مات فيها في المنام، وإذا بشخص قائم بإزائه. قال: فتأمَّلْتُهُ، وإذا به العامري، فقلت لابن مِهْران: ما فعل الله بك؟ فقال: إنَّ الله جعل هذا الواقفَ بإزائي فدائي من النار.

[وفيها توفِّي]

أحمد بن محمد(٢)

ابن الفضل بن (٣) جعفر بن محمد بن الجرَّاح، أبو بكر(٤) الخزَّاز، كان دَيِّناً فاضلاً، صاحب ثروةٍ، فارساً شجاعاً [حكى الخطيب عن التنوخي] قال [أبو بكر]: كتبي بعشرة آلاف درهم، وجاريتي بمثلها، وسلاحي بمثلها، ودوابِّي(٥) بمثلها، فمَنْ مثلي(٦)؟ وكانت وفاته في جمادى الأولى(٧) ببغداد، [وروى عن المُبَرِّد وابن الأنباري وغيرهما، وروى عنه التنوخي(٨) وغيره]، وكان ثقة.

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٥٨، ومعجم الأدباء ٣/ ١٢-١٥، واللباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٢٧٢ .

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٨١ ، ونشوار المحاضرة ٤/ ٤٠ .

(٣) المثبت من(ب)، وفي باقي النسخ زيادة: أبو .

(٤) جاء بعدها في (خ)و(ب) زيادة: بن.

(٥) المثبت من(م)، وفي باقي النسخ: وداري .

(٦) ليس في تاريخ بغداد ولا في نشوار المحاضرة عبارة: فمن مثلي.

(٧) في تاريخ بغداد : جمادى الآخرة .

(٨) تحرفت في (م) إلى: البرقي .

بَكجُور التركي

أبو الفوارس، وليَ إمرةَ دمشق من قبل صاحب مصر سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة، وولي حمص أيضاً قبل دمشق، وأقام بدمشق يجور ويظلم، ويجمع الأموال، ويصادر الناس، فشكاه أهلُها إلى صاحب مصر، فولَّى منيراً الخادم على دمشق سنة ثمانٍ وسبعين، فلمَّا قَرُبَ منها خرج عليه بَكْجور قاصداً حلبَ، فأقام بنواحيها، فقُتِل في هذة السنة بمكانٍ يقال له: النَّاعورة.

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن الخضر: كان لسعد الدولة غلامٌ يقال له بَكْجُور، فرفعه ونوَّه باسمه، وقدَّمه وولَّاه الرقة والرحبة، استكتب له أبا الحسن علي بن الحسين المغربي، فلمَّا تطاولت مُدَّتُه في ولايته كبُرَتْ حالُه، واستفحلَ أمرُه، وحدَّث نفسَه بالعصيان على مولاه، واستمالَ جماعةً من الموالي فصاروا إليه، وأخرج سِرَّه إلى ابن المغربي، فقال له: كاتبِ العزيزَ صاحبَ مصر وانْتَمِ إليه، فكاتبه، واستأذنه في قصد بابه، فأذِنَ له، فسار عن الرقَّة، واستخلفَ عليها سلامة الرَّشيقي، ولقيَتْهُ كُتُبُ العزيز وخِلَعُه وعَهْدُهُ على دمشق، فنزلها، فتلقَّاه أصحابُها وخدموه، وانصرف الوالي الذي كان عليها وسلَّمها إليه، وكان شُبَّانُها وأحداثُها قد استولوا عليها، فقَتَل وصلَبَ جماعةً، فاستقام البلدُ، وقامَتْ له الهيبةُ، وتردَّدَتْ بينه وبين عيسى بن نَسْطورس مكاتباتٌ خاطبَه بَكْجُور فيها بوليِّه، فامتعضَ عيسى من ذلك، وطالبه بأن يكاتبه بعبده وصنيعته، فامتنع وفسدَ ما بينهما، وأسَرَّ عيسى له العداوةَ، وأخَّر حوائِجَه، وذكره بما لا يليق، فقطع بَكْجُور مكاتبتَه، وكتب إلى العزيز فنهاه عنه، وأمره بقضاء حوائج بَكْجُور، فوعَدَه بذلك وعداً لم يَفِ به، وطال الأمرُ على بَكْجُور، وخاف من كيد عيسى، فاستمال طوائفَ من العرب وصاهرهم، وعاد إلى الرقة، فكتبَ إليه العزيز يعاتبه، فاعتذر اعتذارَ التلاطف، وكان لبَكجُور بحلب رفقاء يؤثرونه، فكاتبوه وأطمعوه في الأمر، وقالوا: إن سعد الدولة مشغول باللّذات والجواري، فأقبِلْ إلينا. واغترَّ بقولهم، وكتب إلى العزيز يذكر له جلالة حلب ومَنَعتَها[1]، وأنها دِهْليز العراق، فإذا

---

(١) في الأصل(ب): وفعلها، والمثبت من(خ).

حصلت كان ما بعدها أيسرَ، فأجابه إلى ما أراد، وكتب إلى نزّال الغوري ـ وكان والياً على طرابلس ـ يأمره بالمسير إليه أي وقت استدعاه، ولا يحتاج إلى استئمار، وكان نزّال من أكابر قُوّادِ المغاربة وصنائعِ عيسى النصراني وخواصّه، فكتب إلى عيسى سرًّا بأن يتقاعد عن بَكجُور ويدافعه، فإذا تورط مع مولاه تأخّر عنه وأسلَمه، ولم يعلم بَكجُور، فسار عن الرَّقة يريد حلب لمحاربة مولاه، وكتب إلى نزّال يقول: يكون وصولُنا إلى حلب جميعاً في اليوم الفلاني، فرحل نزّال وتباطأ في مسيره، ثم سار بَكْجُور إلى حلب، وكان سعد الدولة قد كاتب صاحبَ الروم، فتقدَّمَ صاحبُ الروم إلى البرجيّ بأنطاكية: متى استدعاك فاذهب إليه. وجاء البرجيُّ فنزل مرج دابق على فرسخين من حلب، ووصل بَكْجُور إلى النَّقْرة ونزل بمكان يُعرف بالناعورة، وامتدَّ عسكره إلى تل أعْرَن[1]، ومنها إلى حلب أربعة فراسخ، وبرز سعد الدولة في غلمانه، وكانوا خمس مئة فارس، وجاء الروم في ستة آلاف ـ وقيل في ستين ألفاً ـ ولم يختلطوا بالمسلمين، وبعث[2] سعد الدولة إلى بَكْجُور يستعطفه، فما ازداد إلّا قساوةً، فزاده بلاداً ومالاً، فلم يلتفِتْ، وكان سعد الدولة قد كاتب الأعراب الذين مع بَكْجُور ووعدَهم ومنّاهم، وكان بَكْجُور بخيلاً شديداً، فمالت العرب على سواد بَكْجُور ونهبوه، واستأمنوا إلى سعد الدولة، ولمّا رأى بَكْجُور غدرَ نزّالٍ والعربِ به، وتقاعُدَ غِلْمانِ سعد الدولة الذين كاتبوه بالانحياز إليه إذا عاينوه، قال لأبي الحسن المغربي: كاتِبْه. فقال: ترجع إلى الرقة وتكاتب العزيز بما فعل نزّال، فإنه يُنجِدُك. فقال له بعض قُوّاده: كاتِبُكَ هذا يقول: الأقلام تُنكّس الأعلام، فإذا حقَّتِ الحقائقُ أشار علينا بالهرب، لا واللهِ إلا الموت تحت ظلال السيوف. فقال بَكْجُور: هذا هو الرأي، ونموتُ كراماً.

وكان سعد الدولة قائماً في القلب والرايةُ بيده، فعمل بَكْجُور على قصدِه دون غيرِه وقال: إمّا وإمّا، ثم جمع غِلمانَه وعرَّفهم ما يقصِدُه، فقالوا: افعَلْ ما تراه. ونَدَّ واحدٌ منهم إلى لؤلؤ الجراحي فاستأمن إليه، وعرَّفه الحال، فجاء لؤلؤٌ إلى سعد الدولة، فأخذ منه الراية، ووقف موضعه وقال: هَبْ لي مكانَكَ اليومَ، وقِفْ في مكاني، فإنَّ بَكْجُور قد يئس من نفسه ويريد كذا وكذا، وأنا أفديك بروحي. فأعطاه الراية، ووقف

---

(١) تل أعْرَن: قرية كبيرة من نواحي حلب. معجم البلدان ٢/ ٣٩ .

(٢) في (خ): فبلغ، والمثبت من (ب).

مكان لؤلؤ، وحمل بَكْجُور في أربع مئة غلام بالسيوف واللُّتوت[١]، وخيولُهم بالتجافيف[٢]، حتى خلص إلى لؤلؤٍ وهو يظنُّه سعدَ الدولة، فضربَه على الخوذة بالسيف فقدَّها، ووصل إلى رأسه، ووقع لؤلؤٌ إلى الأرض، وعُمِلَ القتال، وحملَ سعد الدولة بنفسه، فانهزم بَكْجُور في سبعة أنفس، واستولى القتلُ والأسرُ على الباقين، وجاء بَكْجُور إلى رحًى تُعرف بالقُديمي على فرسخ من حلب، فالتجأ إليها، ومرَّ بهم قومٌ من الأعراب فسلبوهم ثيابهم ودوابَّهم، ولم يعرفوا بَكْجُور، ومضوا، وبقي بَكْجُور ومن معه عُراةً، فلجؤوا إلى الرَّحى، واستجاروا بصاحبها، فأجارهم، ثم خرج بَكْجُور وغلامان من غلمانه فرمَوا نفوسَهم في زرع حنطة،فمرَّ بهم قومٌ من الأعراب فعدَلوا إليهم، وكان سعد الدولة قد نادى: من جاء ببَكْجُور فله ما يريد، ولمَّا [مرَّ][٣] بهم الأعراب رأى بَكْجُور منهم بدوياً، فعرَفَه، وعرَّفه نفسَه، وقال: احملني إلى الرقة وأُعطيك وِقْرَ[٤] جَمَلِكَ ذهباً. فحمله إلى بيته، وبلغه نداءُ سعد الدولة، فجاء إليه وقال: بَكْجُور عندي، وأريد منك مئتي ألف درهم، ومئتي فَدَّان، وكذا وكذا. فقال: كلُّ ذلك عندي. وبعث معه جماعة فأحضروه، فاستشار لؤلؤاً سعدُ الدولة فيه، فقال: بقيَ غيرُ قتله! وإلَّا شفعَتْ فيه ستُّنا يعني ـ أخت سعد الدولة ـ وصار لنا شغلٌ مُجدَّد. فأمر بقتله، فحُمِلَ إلى الموضع المعروف بحصن الناعورة،فقتله ومن معه،وعلَّقهم بأرجلهم.

وسار سعد الدولة مِنْ فَوره إلى الرقة ـ وفيها سلامة الرَّشيقي وأبو الحسن المغربي وأولاد بَكْجُور وحُرَمُه وأموالُه وخزائنُه وذخائرُه ـ فراسل سلامةَ على تسليم البلد، فقال: على شرط أن يُؤمِّنَ أولادَ بَكْجُور وحُرَمَه ويأخذوا أموالَه، ولي ولابن المغربي، فحلف لهم وأمَّنهم، وحلف بالأيمان المغلَّظة، وهرب المغربي إلى الكوفة، فأقام عند ضريح أمير المؤمنين رضوان الله عليه، ثم خرج إلى مصر، وقد ذكرناه.

---

(١) اللُّتوت: جمع لتّ: وهو الفأس العظيمة. معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص١٤١.

(٢) التَّجافيف؛ جمع تِجْفاف: وهو ما يُجلَّل به الفرس من سلاح وآلة يقيانه الجراح في الحرب. المعجم الوسيط (جفف).

(٣) ما بين حاصرتين من(ب).

(٤) الوِقْر: الحمل الثقيل. المعجم الوسيط (وقر).

ثم خرج أولادُ بَكْجُور وحرمُه بأمواله[1]، فرأى سعدُ الدولة شيئاً هالَه، وكان جالساً في سُرادِقاته وعنده ابن أبي حصين القاضي، فقال له: ما كنتُ أظنُّ أنَّ بَكْجُور عنده هذه الأشياء، فقال: هو مملوكُكَ، وأولاده مماليكك، ومالُه لكَ، ولا حِنْثَ عليكَ في الأموال التي حلفتَ [عليها]، ومهما كان فيها من وِزْرٍ فعليَّ. فلما سمع ذلك أمر بردِّ الجميع، واستولى على الأموال والذخائر، وكتب أولاد بَكْجُور إلى العزيز بما جرى عليهم، فكتب إلى سعد الدولة: واللهِ لئن لم تردَّ الجميع وتحفَظْ يمينَك لأسيرنَّ إليك بنفسي. فقال لرسوله: كُلْ كتابه. فامتنع، فأمر بلطمه، فأكله، فقال له: قُلْ لصاحبك: ما تحتاج تجيء إليَّ، وأنا أجيء إلى عندك، وما أنا ممَّن يمرُّ عليه تمويهُك[2]. وأمر بالعساكر فتقدمته إلى حمص، وعزم على المسير إلى الرملة، فمرض ومات، وسنذكره إن شاء الله تعالى[3].

[وفيها تُوفِّي]

جوهر القائد

[الذي فتح مصر، وبنى القاهرة، وذكره الحافظ ابن عساكر فقال[4]: مولى أبي تميم [الملقب] [5] بالمُعِزّ، وهو الذي استولى على مصر [في] سنة ثمان وخمسين [وثلاث مئة].

ووطَّأ الأمور، [وهو صاحب الواقعة بالشام مع هفتكين التركي] [6]، وكان شجاعاً، بصيراً بأمور الحرب، عاقلاً، لبيباً[7]، جليلاً، سخياً، لم يزل مقدَّماً على الجيوش والدولة، حاكماً على الكلِّ إلى أن توفي يوم الخميس لعشر بَقِين من ذي القعدة [في هذه السنة].

---

(١) تحرفت في النسخ إلى: وأولاده.

(٢) التمويه: التلبيس. الصحاح (مَوَهَ).

(٣) بنحوه في الكامل لابن الأثير ٩/ ٨٥-٨٨.

(٤) تاريخ دمشق ٤/ ٥٣ (مخطوط).

(٥) مابين حاصرتين من تاريخ دمشق.

(٦) جاء بدلاً منها في (خ) و(ب): وبنى القاهرة.

(٧) في (م) و(م١): نبيلاً.

سعدُ الدولة

أبو المعالي، شريف بن سيف الدولة، قد ذكرنا عَزْمَه على المسير إلى الرملة، فاتَّفق أنه لحقه قُولَنْج أشفى منه، فأشار عليه طبيبُه بالدخول إلى البلد، وملازمة الحمَّام، فقال: أنا قاصد إلى جهةٍ، فإنْ عدتُ عنها وقع الإرجافُ [بي](1). فعالجه، فبرَأَ، وكان مستولياً على أمره لؤلؤٌ الكبير ـ وقد ذكرناه ـ وزُيِّنَ البلدُ، ولم يبقَ إلا أن يصبح فيركب، وكان له أربع مئة سرية أَخصهنَّ عنده جارية يقال لها: انفراد، فجاءت إلى فراشه فحادثَتْه، فجامعها، فلمَّا فرغ منها سقطَ وجفَّ نصفُه(2)، وجاء طبيبه فقال: أعطني يدك أيّها الأمير، فأعطاه اليسرى؛ لأن اليمين كانت قد يبِست. فقال: يا مولانا، اليمين. فقال له: ما تركت اليمينُ لي يميناً. يعني التي حلفها لأولاد بَكْجُور.

وعهِدَ إلى ولده أبي الفضائل، ووصَّى لؤلؤاً الكبيرَ به وبأبي الهيجاء ولدِه الآخر، ومات بحلب في رمضان، وحُمِلَ تابوتُه إلى الرقة، فدُفن بظاهرها في المشهد، ورجعت العساكر إلى حلب.

عبيد الله بن عبد الرحمن(3)

ابن محمد بن محمد بن عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أبو الفضل الزهري، ولد سنة تسعين ومئتين، وسمع خلقاً كثيراً، وليس بينه وبين عبد الرحمن ﷺ إلا مَنْ روى الحديث عنه، وكانت وفاتُه في ربيع الآخر ببغداد، وأجمعوا على صلاحه وصدقه وثقته.

عبيد الله بن أحمد(4)

ابن معروف، أبو محمد، القاضي، ولد سنة ست وثلاث مئة، وولي القضاء من الجانبين ببغداد، وكانت له منزلةٌ عاليةٌ من الخلفاء والملوك، خصوصاً من الطائع،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) جفَّ نصفه: يبس. الصحاح (جفف).

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦٨، والتصويب منه، فقد وقعت تسميته في (خ) و(ب): عبد الله.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦٥-٣٦٨، ووقعت تسميته في (خ): عبد الله.

وكان من العلماء الثقات العقلاء الفضلاء الفطناء، عفيفاً عن الأموال، نزهاً، وسيمَ المنظر، حسنَ المخْبَر، مليحَ المَلْبس، مَهيباً، ذا مروءة وعصبيةٍ وفتوةٍ من أَلِبَّاء الناس، مع تجربة وفطنة ومعرفة وعزيمة باقية، وهمَّةٍ تامةٍ ماضية، وكان الصاحب بن عبَّاد يقول: أشتهي أن أدخلَ بغداد وأشاهدَ جراءةَ أبي أحمد العلوي، وتَنَسُّكَ أبي محمد الموسوي، وظَرْفَ أبي محمد بن معروف.

وزوَّرَ عليه رجلٌ ورقةً إلى الوزير يستجديه ويطلب منه عمالة، فأوصلَها إلى الوزير، فقرأها، فاستراب بها؛ لأن الخط اختلف عليه، فوضعها بين يديه والرجل قائم، فاتَّفق أنَّ ابنَ معروف جاء إلى الوزير في ذلك الوقت لمُهِمٍّ، وكان في وقت القائلة، فنظر فرأى الورقة بين يديه، فقال [له]: ما الذي عنّى القاضي في هذا الوقت؟ فكتم الأمر الذي جاء فيه، وقال: أيها الوزير، هذا الرجل صاحبي، وله عليَّ حقوقٌ، وأرسلته بهذه الورقة، وخِفْتُ أن يغفل عنها، فجئت بنفسي لتقضي شغله. ففَهِمَ الوزيرُ الحالَ، فأعطى الرجلَ أربعة آلاف درهم، واستكتبه، فلمَّا قام ابن معروف وخرجَ تَبعه الرجلُ، فوقع على قدميه، وجعل يبكي وهو خجلٌ، فقال له ابن معروف: طِبْ نفساً، فما كنَّا لِنُخيِّب رجاء مَنْ قصدَنا، وعلَّق آمالَه بنا.

ومن شعر ابن معروف: [من البسيط]

يا صاحبيَّ سلا الأطلال والدِّمَنا[1] ... متى يعودُ إلى عُسْفانَ مَنْ ظَعَنا
إنّ الليالي التي كُنَّا نُسَرُّ بها ... أبدى تَذكُّرُها في مهجتي حَزَنا
أستودع اللهَ قوماً[2] ما ذكرتُهمُ ... إلا تحدَّرَ من عينيَّ ما خُزِنا
كان الزمان بنا غِرًّا فما بَرِحَتْ ... أيدي الحوادث حتى ذَكَّرَتْهُ[3] بِنا
أشتاقُكُمُ اشتياقَ الأرضِ وابِلَها ... والأمِّ واحدَها والغائبِ الوطَنا

(١) في (خ): الزمنا، والمثبت من(خ)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد. والدِّمَنا جمع دِمْنة: وهي من آثار الناس وما سوَّدوا. المعجم الوسيط(دمن)

(٢) في (خ): قلباً.

(٣) في (خ): ذكرتنا.

ذكر وفاته:

تُوفِّي في صفر، ولم يُرَ مثلُه في عفَّتِه ونزاهتِه، وصلَّى عليه الشريف الموسوي في داره، وكبَّر عليه خمساً، وحُمِلَ إلى جامع المنصور، فصلَّى عليه ابنُه وكبَّر أربعاً، ثم حُمِلَ إلى داره على شاطئ دِجلة، فدُفن بها، وحضر عزاءه عيسى بن علي الوزير، فقال لولده القاضي أبي الحسين: [من الخفيف]

وعلى مثلِهِ يُناح ويُبكى وتُشَقُّ القلوبُ قبلَ الجيوبِ

الحمد لله الذي لم ينقُلْه من داره إلى جواره، حتى أخرج من عنصره مثلك.

وكان لابن معروف مجلسان في كلِّ سنةٍ يجلس فيهما للحديث، أول يوم من المحرَّم، وأول يوم من رجب، وكان ثقةً، وبرز خطُّ القادر: لا تُقبل شهادةٌ إلّا مَن كان شاهداً في أيام ابن معروف.

وكانت وفاتُه بضيق النَّفَس، ولم يتخلَّف عن جنازته أحدٌ من الأكابر.

السنة الثانية والثمانون بعد الثلاث مئة

فيها جلس القادر بالتَّاج، وحَضرَ القضاةُ والأشرافُ والأعيان، وأُحضِرَ رسولُ صاحب المولْتان[1]، وكان قد ورد في رسالة يذكُرُ رغبتَه في الإسلام والدخول فيه، ويسأل أن يُنفِذ إليه من يعلِّمهم السننَ والشرائعَ والفرائضَ والحدودَ، فكتب على يده كتاباً، ووعد بالجميل.

وفيها شغَبَ الدَّيلم والتُّرك والجند، وخرجوا بالخِيم إلى باب الشَّمَّاسية، وراسلوا بهاء الدولة بتسليم أبي الحسين المعلِّم ـ وكان قد استولى على بهاء الدولة وحكم عليه، وقصَّر في حقِّ الجند وأهانهم ـ فراسلهم بهاءُ الدولة وتلطَّف بهم، وقال: له حُرْمة، وأنا أرفع يده عن أمركم، وأتولَّاه بنفسي. وتردَّدتِ الرسائلُ بينهم، فقالوا: إن لم تسلِّمْ إلينا وإلا مضينا كلُّنا إلى شيراز، فقيل له: سَلِّمه، وإلا زالت الدولةُ. فسلَّمه إلى خاله أبي حرب شيرزيل، فسقاه السُّمَّ مرتين، فلم يعمل فيه، فخُنِقَ بحبل الستارة، ودُفِنَ بالمخرِّم، وهذا المعلِّم هو الذي كان سبباً للقبض على الطائع، وعاد العسكر إلى منازلهم.

---

(١) تحرَّفت العبارة في(ب) إلى: وأحضر رسول الله حب المولتان. وهو تحريف شنيع.
و مُولْتان: ثغر من ثغور المسلمين مما يلي السند. الروض المعطار ص٥٦٤ .